# تزكية النفس الإنسانية في ضوء مقاصد التشريع الإسلامي
# (دراسة وصفية تحليلية)

بروفيسور/ أبكر عبد البنات آدم
مدير جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم

**مستخلص**

تناولت الدراسة تزكية النفس الإنسانية على ضوء مقاص التشريع الإسلامي، لما للتزكية من أهمية كبيرة في حياة الإنسان، عليه، فكل فرد يحتاج في حياته إلى إصلاح حاله لتحقيق البعد التنموي بشقيه المادي والروحي. فالتزكية من المفاهيم الأساسية في المرجعيّات الدينية، وتحتل موقعاً مهماً ضمن منظومة المفاهيم القرآنية، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعي. فالله عزّ وجلّ حين جعل الإنسان خليفته في الأرض حمله أمانة الاستخلاف، ووضع له من الضوابط والمرجعيات التي تحمل في كنفها معايير ربانية لحياته الدينية والدنيوية، وجعل التنوع والتعدد سمة أساسية في سياقاته الزمانية والمكانية والثقافية والفكرية والحضارية. وبالرغم من شيوع النظريات الغربية الفلسفية والعلمية التي تتحدث عن البناء الفكري والثقافي للإنسان، وعلاقاته بالعنف والتعصب، إلا أن مكانة الإنسان في الفكر الإسلامي لا زال محافظاً في كثير من الأحايين.

# Abstract

The study deals with the recommendation of the human soul in the light of the Islamic legislation, because of the importance of the importance of human life, it, and everyone needs in his life to reform the situation to achieve the developmental dimension, both material and spiritual. Accreditation is one of the basic concepts in the religious authorities. It occupies an important position within the Qur'anic concept system, but is at the heart of social construction. God Almighty when the man made his successor in the land carried by the Secretariat of Istiqlaf, and set him from the controls and references that carry within it the standards of the divine religious and secular life, and make diversity and diversity a key feature in its temporal, spatial, cultural, and intellectual and civilization. Despite the prevalence of Western philosophical and scientific theories, and talk about the intellectual and cultural construction of man, and his relations with violence and intolerance, but the status of human in Islamic thought is still conservative in many cases.

## مقدمة

إن اللّه سبحانه وتعالى حين خلق الإنسان جعله مؤلفاً من ثلاثة عناصر، هي: العقل والبدن والروح، وقد رتب اللّه عزّ وجلّ هذه العناصر الثلاثة فجعل الإسلام لمصلحة البدن، والإيمان لمصلحة العقل، والإحسان لمصلحة الروح، فلا يكون الإنسان سوياً مستقيماً إلا بالاعتدال والتوازن بين هذه العناصر، حتى لا يحصل ميل أو اعوجاج في النفس البشرية، فإن من مال إلى أحد هذه العناصر دون غيره وأولاه عناية على حساب الجوانب الأخرى يصبح معوجاً غير مستقيم. ولعل من أهم هذه الجوانب وأشدها خطراً هو عنصر الإحسان الذي لا يكمل إيمان المسلم إلا به.

فالإنسان يولد وينشأ وله شهوات قد تكون جامحة، وله طباع ربما تكون رديئة أو غير سوية، وبالتالي لا يتحقق النزعة الدينية ما دامت هذه الشوائب تتخلل في النفس البشرية؛ وهنا يحتاج الإنسان إلى تزكية خالية من نوائب الدهر. وقد أشارت القرآن الكريم إلى معاني التزكية بألفاظ وعبارات دلت إليها مقاصد التشريع الإسلامي الغرض منها تحقيق مصلحة العباد، من خلال تطهير النفس بالتحلية والتخلية لأجل بناء شخصية المسلم، التي تحمل في طياتها جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالعلم بلا تزكية، والرشد بلا تربية قد يدمرا المجتمع، ويدفعا إلى الكبر والتكبر، والفخر والتعالي والسيطرة، وربما بهما ينحرف المجتمع عن جادة الطريق المستقيم.

### مشكلة الدراسة:

إن غياب الوازع الديني كثيراً ما يبعد الإنسان عن تزكية النفس، لذا جاءت الدراسة لتحقيق مفهوم التزكية في ضوء مقاصد التشريع الإسلامي.

### أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

- تنمية البعد الإنساني من خلال المقاصد الشرعية.
- تطهير النفس الإنسانية من حب الشهوات.
- معرفة النفس هويتها الآدمية.
- الإلمام بأساليب ووسائل تزكية النفس البشرية.

**أهمية الدراسة:**

تكمن أهمية الدراسة في أنّ الإنسان الذي خلقه الله في أحسن صورة، وزكاه عن سائر المخلوقات يحتاج إلى ترتيب مقاصده حتى يحقق مورد تكريمه الإلهي.

**منهج الدراسة:**

استخدم الباحث المنهج الوصفي التاريخي والتحليلي، وأحياناً الاستقرائي للكشف عن مظان وجود الإنسان على هذه البسيطة.

**مفهوم تزكية النفس لغة واصطلاحا**

**التزكية لغة:** هي مصدر زكى الشيء يزكيه، أي طهارة النفس ونماؤها وإظهار محاسنها (ابن منظور 1958م: 543). ولها معنيان:

الأول: التطهير، كأن يُقال زكيتُ هذا الثوب أي طهرته، ومنه الزكاء أي الطهارة. وقال سيد قطب (1982م:156) في الظلال:" التزكي هي التطهر من كل رجس ودنس".

الثاني: الزيادة، كأن يُقال زكى المال يزكوا إذا نمى، ومنه الزكاة(ابن فارس 1399هـ:234). فالتزكية في اللغة ترجع إلى النماء والتطهير، ومنه قوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة:104)، أي تنمية أموالهم، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ (عبس:3)، أي يتطهر من الشرك والآثام.

وقد وردت لفظة التزكية في القرآن الكريم تسعاً وخمسين مرة وبمعان متعددة، منها: زكى، وزكّى، ويزكى، وأزكى، وزكياً، وزكاة، وأزكى الخ...، ومنها اثنتين وثلاثين مرة بلفظ الزكاة، أي زكاة المال على وجه التحديد بمعنى التطهير والبركة والنمو، وأربع مرات بمعنى المدح والثناء، وأربع مرات بوصف التزكية كأحد مقاصد الوحي الأربعة، وبقية الآيات تتحدث عن مجالات مختلفة من التزكية كالتطهير والترقية والتنمية والزيادة في الحسن والنفع (شلتوت،1998م:33).

**التزكية اصطلاحاً:** هي تطهير النفس عن الصفات المذمومة، وتحليتها بالأعمال الصالحة وتزيينها بجمال التعظم لله عزّ وجلّ. فالتطهير والنماء فضل من الله تعالى للإنسان على هذه البسيطة. وقد اشارت كثير من الآيات القرآنية في ذلك على النحو التالي:

- التزكية هي فضل من الله تعالى على من يشاء من عباده، لقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:21).
- التزكية هي عملية تربوية وتوجيهية، لقوله تعالى:﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة:150).
- التزكية هي تجديد المؤمن أيمانه في كل حين، لقوله تعالى:﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ (البقرة:129). قال أبو حيَّان عن قول الله تعالى:﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ...﴾: أي التجدد في التربية (أبادي، ج2ص47). وعلى هذا الأساس فإنّ المعنى اللغوي لا ينفصل كثيراً عن المعنى الاصطلاحي.

### المفهوم القرآني في تزكية النفس الإنسانية

التزكية هي تكميل النفس الإنسانية بقمع أهوائها، وإطلاق خصائصها العليا، لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى:14-15)، وقال سبحانه وتعالى:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (الشمس:7-10)، قال ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿ قد أفلح من تزكى﴾: من زكى نفسه بطاعة الله عزّ وجلّ، وطهرها من الرذائل والأخلاق الذميمة بالإيمان والعمل الصالح. فالتزكية هنا تطهير للنفس من أدرانها وأوساخها الطبيعية والخُلقية، وتقليل قبائحها ومساويها، وزيادة ما فيها من محاسن الطبائع، ومكارم الأخلاق.

لذلك فإن من أعظم فوائد التزكية وعواقبها على الإنسان أنها تجلب له سعادة الدنيا قبل سعادة الآخرة، قال ابن الجوزي: "من أحب تصفية الأحوال فليجتهد في تصفية الأعمال"، قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً﴾ (الجن:16)، قال قتادة، أيّ طهرها من الرذائل والأخلاق الذميمة، ومنحها الهدى والطاعة لله عزّ وجلّ (ابن كثير1314هـ:325).

أمّا التزكية في الشرع: هي تطهير النفوس وإصلاحها بالعلم النافع والعمل الصالح، وفعل المأمورات وترك المنهيات. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معرض حديثه عن أمراض القلوب وشفائها: "... زكا الشيء إذا نما في الصلاح، فالقلب يحتاج إلى التربية حتى ينمو ويزيد ويكمل ويصلح، كما يحتاج البدن إلى الغذاء ليكمل الصحة. وهنا لا بدّ من مراعاة ما يضرّ بالنفس، فلا ينمو البدن إلّا بإعطائه ما ينفعه ومنع ما يضره، كذلك القلب لا يزكو فينمو ويتم صلاحه إلا بحصول ما ينفعه ودفع ما يضره"(ابن تيمية،1987م: ج10ص96). وقد ثبت في تفسير التزكية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه الطبراني في المعجم الصغير وغيره عن عبد الله بن معاوية الغاضِري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فقد ذاق طعم الإيمان: من عَبَدَ الله عزَّ وجلَّ وحده لا إله إلّا هو، وأعطى زكاة ماله طيِّبَةً بها نفسُهُ في كلِّ عام، وزكَّى نفسه، فقال رجل: وما تزكية النفس؟ فقال: أن يَعْلَمَ أنَّ الله عزَّ وجلَّ معهُ حيثُ كان"(البخاري،1313هـ،ج2ص1046).

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يهتم بمشاكل أصحابه النفسية ويعالجها، فقد جاءه شاب يعشق الزنا ويعاني من عدم قدرته على تركه، فأثار النبي صلى الله عليه وسلم فيه عوامل الغيرة والإحساس بالآخرين حتى خرج من عند النبي والزنا أبغض شيء إليه فعن أبى أمامة رضى الله عنه قال: إن فتىً شاباً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لى في الزنا، فأقبل القوم فزجروه، وقالوا: مه مه فقال له: "ادنه" أى اقترب منى، فدنا منه قريباً، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله، جعلنى الله فداءك، قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم"، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: " لا والله يا رسول الله، جعلنى الله فداءك"، قال: " ولا الناس يحبونه لبناتهم"، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: " لا والله جعلنى الله فداءك". قال: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم"، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: " لا والله، جعلنى الله فداءك"، قال: " ولا الناس يحبونه لعماتهم"، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: " لا والله ، جعلنى الله فداءك"، قال: " ولا الناس يحبونه لخالاتهم"، قال – روى الحديث – فوضع يده عليه، وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحصن فرجه" فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء". أيضاً ورد في الصحيح عن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: " لاَ أَقُولُ لَكُمْ إِلاَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :"... اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِى تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا...)(العسقلاني،1314هـ،

حديث رقم7081). فالنماذج الخاصة بتزكية النفس في سنة النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة، هذا بالإضافة للوصايا العامة التي تقوي في المسلم جانب المراقبة لله عزّ وجلّ في كل وقت وحين، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم :" اتق الله حيثما كنت"، يضاف إلى ذلك قيام المسلم بالفرائض من العبادات وما يتبعها من النوافل، وقيام الليل، وذكر الله، والتصدق مما يؤثر على تزكية النفس إيجابياً ليكون المؤمن من المفلحين الذين قال الله فيهم، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى﴾. وروى أحمد والحاكم في الحديث القدسي: "لو أن عبادي أطاعوني لسقيتهم المطر بالليل، ولأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد". فالنفس تسمو وترتفع مكانتها بالإيمان، وبالبعد عن مَلَذّاتِها وشهواتها التي هي في حقيقتها لا تُساوي عند الله تعالى جناح بعوضة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء" (الترمذي، بدون تاريخ، حديث رقم1067).

ومن خلال تلك المفاهيم فإن التزكية في المصطلح القرآني هي منظومة متكاملة موضوعها الإنسان المستخلف، والذي بسموه يدعو إلى الإصلاح في الواقع المعيش. فالإنسان في تكوينه مادة وروح، وهو يعتمد في الإصلاح على الجانبين المعنوي والمادي لأجل ترقيته إلى مراتب الطهر والنقاء، وصفاء الضمير من النوازع الشهوانية (الغزالي،1978م:44). فالتزكية ليست مشاعر وخلجات وخواطر نفسيه مقصورة على مستوى الإصلاح الفردي فقط، بل تدخل في صميم البناء الاجتماعي والعمران البشرى. كما يتضمن منظومة القيم الحاكمة التي تتعلق بحياة الفرد والجماعة بوصفها مكوناً أساسياً من مقاصد الوحي الإلهي، فكلَّما كان العبد مرتبطًا بالقرآن والسنة النبوية قراءة وتدبُّراً وعملاً فإنه يستطيع أن يطهر نفسه ويزكيها، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:﴿ لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ (آل عمران:164).

وخلاصة القول، إن الإنسان الذي استخلفه المولى عزّ وجلّ يستطيع أن يتفاعل مع المظاهر الطبيعية التي تشير إلى تزكية النفس، والابتعاد عن المظاهر التي قد تؤدي إلى ارتكاب المعاصي والمخالفات، والتي للنفس غير المزكاة فيها الدور الأكبر، وبالتالي يستطيع تحقيق النصر والتمكين الذي وعد الله تعالى به، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:55).

## أهميّة تزكية النفس

إنّ اللّه عزّ وجلّ أقسم في كتابه العزيز أحد عشر قسماً على فلاح من زكى نفسه، وعلى خسران من أهمل ذلك، لتحقيق طمأنينة النفس، من خلال الآتي.

1. تعتبر النفس من أشد أعداء الإنسان لأنها تدعو إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا، وسائر أمراض القلب التي تنشأ عندما يفشل عن السيطرة على النوازع النفسية، ولذلك كان صلى اللّه عليه وسلم يستعيذ باللّه من شرها كثيراً، لحديث أبي هريرة عند ابن أبي حاتم قال سمعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقرأ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(الشمس:8)، فقال:" اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها" وفي المسند والترمذي أنه صلى اللّه عليه وسلم علم حصين بن عبيد أن يقول "اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي". قال ابن القيم رحمه اللّه:" وقد اتفق السالكون على اختلاف طرقهم وتباين سلوكهم على أن النفس قاطعة بين القلب وبين الوصول إلى الرب عزّ وجلّ، وأنه لا يدخل عليه سبحانه ولا يوصل إليه إلا بعد إماتتها والظفر بها"(ابن القيم،1991م:48).
2. تزكية النفس تمهد الطريق إلى الجنة، قال اللّه تعالى:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾(النازعات:40-41).
3. الإنسان محب للكمال: يسعى الإنسان على إكمال نفسه بتزكيتها وتربيتها، حتى لا تصاب بأمراض النفوس والأبدان، فهو محتاج إلى تغذية روحية، ورعاية صحية لمقاومة الأعراض التي تفتك بالأبدان، وكذلك محتاج إلى متابعة للازدياد من الخير كما يزداد البدن من الطاقات والمعارف، فلا غرو فإن الإنسان يحتاج إلى أن يراقب تطورات نفسه، ويعلم أنها وعاء إيمانه، وهنا لابد من العمل على تنمية الإيمان باللّه تعالى، وزيادته عن طريق تزكية النفس وتهذيبها(الشنقيطي،بدون تاريخ:187)، ويقول سيد قطب:" إن هذا الكائن(الإنسان) مخلوق مزدوج الطبيعة، مزدوج الاستعداد مزدوج الاتجاه"، أي بمعنى أنه يتكون من طين، لقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن

سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾(المؤمنون:12)، ومن نفخة روح المولى عزّ وجلّ، لقوله تعالى:﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾(القدر:4-5)، وهو بذلك مزود باستعدادات نفسية يجبله للخير والشر، والهدى والضلال، وبالتالي له القدرة على التمييز بين ما هو خير وما هو شر، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى أيهما أفضل، هذه القدرة الكامنة عبّر عنها القرآن الكريم بالإلهام تارة، لقول الله تعالى:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(الشمس:7-8)، وبالهداية تارة أخرى بقوله تعالى:﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾(البلد:10)، وإلى جانب الاستعدادات الفطرية الكامنة، هنالك قوة واعية مدركة موجهة في ذاته، فإذا استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعدادات الخير فيها وتغليبها على استعدادات الشر فقد أفلح، أمّا إذا لم يستخدم هذه القوة وأخبأها وأضعفها فإنه سوف يعرض نفسه للفشل. لذلك فإن أمر تزكية النَّفس وظيفة من وظائف الرّسل عليهم السلام، قال الله تَعَالَى:﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾(الأحزاب:21).

## أقسام تزكية النفس

لا يتذكر العبد يوم الحساب، ويوم الوقوف بين يدي الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إلاّ إذا أعانه المولى عزّ وجلّ على تزكية نفسه بذكر ذلك اليوم المشهود، لقوله تعالى:﴿ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾(الحاقة:20-21)، فكلّما كان العبد مستصحباً هذا الظّن المبارك والاعتقاد باليوم العظيم بأنّه سيلاقي الله تبارك وتعالى، وأنه سيقف بيْن يَدي الله عزّ وجلّ، وسيحاسبه على أعماله التي قدَّم في هذه الدنيا؛ كلّما حقق مفهومية التزكية من الداخل والخارج، لقوله تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(الحشر:18) وقال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(التحريم:6)، وقوله تعالى:﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(البقرة:281). فالذّكر والصّلاة وعموم الطّاعات تُزكّي النُّفوس، وكل طاعة يتقرَّب بها العبد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فهي تزكية لنفسه.

وعلى تلك المعطيات تُقسم تزكية النفس من خلال المقاصد الشرعية إلى قسمين:

- التحلية: التحلية هي أن تملأ النفس بالأخلاق والعادات الفاضلة حتى تصل إلى مرحلة الاعتدال والتوازن في الصفات. كما أشار الغزالي (1978م:144) إلى ذلك بقوله: "جوهر عملية التزكية الارتقاء بالنفس درجة درجة، من السيئ إلى الحسن ثم ترقيتها في مراتب الحسن والصفاء حتى تبلغ أعلى المستويات الإنسانية وأسماها، فتتحول من نفس أمارة بالسوء أو اللوامة إلى نفس مطمئنة راضية عن ذاتها مرضية عند مولاها وربها".
- التخلية: بمعنى تطهير النفس من أمراضها وأخلاقها الرذيلة، وتخلية النفس عن كل الذنوب والسيئات، والمعاصي، والقبائح من الأعمال والأفعال، والبعد عن المنكرات، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور:30)؛ فبُعد الإنسان عما نهاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من باب تزكية النَّفس. إذن لابد للإنسان أن يتعرف على الأخلاق الذميمة وعلى أسبابها ويعلم أنها موجودة في النفس، ويحاول التخلص منها، فإذا لم يستشعر تلك المسؤولية فإنه يصاب بالمرض ولا يستطيع علاجه، ومن أهم أسس التعامل مع النفس هي:

1. عدم تبرئة النفس: فقد كان صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه وهو المعصوم بالوحي الإلهي قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ (النجم:3-5).
2. أخذ الثأر والانتصار للنفس: فالصبر هو دعوة الأنبياء والرسل عليهم السلام، قال تعالى:﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾(الشورى:43).
3. اتهام النفس باللوم والسوء: إذا لم يتهم الإنسان نفسه أغوته وقادته إلى التهلكة، قال تعالى:﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ (القيامة:2)، وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف:53).

وعلى ذلك، فإذا حصن الإنسان نفسه على هذا النحو وملكها يستطيع توجيهها نحو الخير، فإذا دعاها إلى عبادة انقادت له واستسلمت، وإن دعيت إلى شر وجدت نفوراً. فالنفس كالدابة المطيعة المنقادة، تحمل عليها ما تشاء وتسير بها حيث تشاء (شلبي،1997م:39). أمّا إذا اتصف الإنسان بالأخلاق الذميمة فإنها تكون وبالاً وشراً

مستطيراً، هنا لابد من مراقبة النفس ومتابعتها، ويجب أن يختبر لمعرفة مدى استعدادها للأوامر وانصياعها للخير، فالذي ينام على فراشه ولم يستطع أن ينتصر على نفسه بالذكر والدعاء حتى تحل عنه عقد الشيطان، فإن نفسه مريضة تحتاج إلى علاج، والذي يسمع النداء" حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح" ويأخذه النعاس مازالت نفسه مريضة تحتاج إلى تربية وتعليم وتوجيه كذلك الذي لا تطاوعه نفسه في الصوم أو في إنفاق المال أو ممارسة أي عمل خير فإنه مصاب بمرض عضال لابد من ايجاد طريقة لعلاجها قبل فوات الأوان، فالإنسان يستطيع أن يراقب نفسه، وأن يضعه في قفص الاتهام، وأن يحملها على العزائم، وإلاّ قادته إلى المهلكات، وفي ذلك خسران مبين.

## وسائل وأساليب تزكية النفس

إنّ تزكية النفوس وتجليّتها من الأمور الضرورية التي دعت إليها المولى عزّ وجلّ في كثير من الآيات القرآنية، وذلك باتباع ما جاءت به الرسل عليهم السلام، لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾(الجمعة:2). وهنالك من يرى أن الوسائل التي يتوصل بها الإنسان إلى تزكية النفس وتهذيبها، ينقسم إلى قسمين فمنها وسائل مجملة، ومنها وسائل مفصلة، وهي على النحو التالي:

أولاً: الوسائل المجملة، وهي:

- المداومة على قراءة القرآن الكريم: لأن في قراءته جلاءٌ للقلوب، وصفاءٌ للضمائر، لقوله تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد:28)، وقال تعالى:﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (ص:29)، وقال وتعالى:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ (محمد:24-25). فإذا صفى القلب زكت النفس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما جلاؤها قال: تلاوة القرآن وذكر الموت" (الترمذي،بدون تاريخ:ج2حديث رقم7658).
- العمل على تطهير النفس من الرذئل: كالبخل والشح، والكذب والنفاق، والحرص والخيانة والطمع والشح والفجور ومكر الله عزّ وجلّ.

- التدبّر في الآيات الكونية: ففي قراءة القرآن والتدبّر في معانيه، والعمل بها تعتبر تزكية للنفس وتطهيرها من الشرور، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَاراً وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (النحل: 12-18).
- تأنيب ومحاسبة الذات: عندما يرتكب الإنسان مخالفة لله سبحانه وتعالى يحتاج إلى تأنيب النفس ومحاسبتها على ما قدّمت وما أخرّت، وهذا ما يسمى بالتوبة.
- الإستغفار: يجب على الإنسان أن يلازم الإستغفار ففيها راحة للقلب وطمأنينة للنّفس، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاء عَلَيْكُم مِّدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾ (نوح: 10-12).
- التحلّي بالصبر واليقين: إذا أراد الإنسان أن ينتصر لشهواتهِ عليه بالصبر، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النحل: 200).
- الدّعاء: الدعاة والذكر هما سلاح المؤمن في السراء والضراء طاعة لله عزّ وجل والتقرّب إليه، فيدعو الإنسان ربه ليبعد نفسه عن كل الشرور والآثام، قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة: 152).
- تنقية النّفس من شوائب الرياء والكذب والخيانة: تعتبر اجتناب هذه الخُصال من المتطلبات الضرورية إذا أراد الإنسان أن يكون قريباً لمعية المولى عزّ وجلّ بل من أعظم الأمور وأوّلها للتقرّب إليه، ولا يمكن للنّفس أن تصل في أعلى مراتب الإيمان وأطهرها إلاّ إذا كانت نقية.

- تحلية النفس بالسجايا الفاضلة كالإخلاص، والإنابة، والخوف من الله، والشكر والحمد الثناء لله عزّ وجلّ، والتواضع... وغيرها.
- المحافظة على الشعائر العبادية والتعبدية(الفرائض، وفضائل الأعمال): وهي من العبادات التي يتقرّب بها العبد إلى الله سبحانه وتعالى، كما جاء في حديث قدسي، حيث قال تعالى: " وما تقرّب إليّ عبدي بشيءٍ أحب إليّ مما افترضته عليه".
- الإكثار من النوافل: قال تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة :238)، ولقول الله عزّ وجلّ في حديث قدسي: "... ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه...".

ثانياً: الوسائل التفصيلية، وهي:

- الوحدانية: وقد سماه الله تعالى زكاة في قوله:﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾(فصلت:6-7)، وقال ابن القيم رحمه الله:" قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته وإثبات إلهيته سبحانه، وهو أصل كل زكاة ونماء"(ابن القيم،بدون تاريخ:ج1ص49). وقد وصف الله سبحانه وتعالى الشرك رجساً من عمل الشيطان، قال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنْ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (الحج:30)، وقال تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾(التوبة:28). فدلَّ مفهوم الآيتين على أن الطهارة والتزكية في التوحيد الخالص لله عزّ وجلّ هو الخلاص. ولذلك قال موسى عليه السلام لفرعون وهو يدعوه إلى التوحيد:﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (النازعات:18-19).
- الصلاة: وهي من أعظم العبادات التي تساعد في تزكية النفوس؛ لقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى:14-15). وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم تطهير الصلاة للنفوس بتطهير الماء للأبدان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً:" أرأيتم لو أنَّ نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كلَّ يوم خمس مرَّاتٍ، هل يبقى من دَرَنِهِ شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فَذَلِكَ مَثل الصَّلَوَات الخمس يمحو الله

بهنَّ الخطايا "(البخاري،1313هـ:ج9حديث رقم528). وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخمس كَمَثَلِ نَهرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ"(العسقلاني، 1213هـ:ج9حديث رقم 284).

- الصدقة: قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة:103).
- ترك المعاصي والمحرمات: قال تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ (الشمس:9-10). وقال شيخ الإسلام: " فكذلك النفس والأعمال لا تزكو حتى يزال عنها ما يناقضها، ولا يكون الرجل متزكياً إلا مع ترك الشر، فإنه يدنس النفس ويدسيها" (ابن تيمية، بدون تاريخ: ج10 ص629). وقال ابن القيم (بدون تاريخ: ج1ص49): " فالمقصود أن زكاة القلب موقوفة على طهارته، كما أن زكاة البدن موقوفة على استفراغه من أخلاطه الفاسدة"، لقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور:21).
- محاسبة النفس: قال ابن القيم: " فإن زكاة النفس وطهارتها موقوف على محاسبتها، فلا تزكو ولا تطهر ولا تصلح ألبتة إلا بمحاسبتها... وبمحاسبتها يَطّلِعُ على عيوبها ونقائصها؛ فيمكنه السعي في إصلاحها"(ابن القيم،بدون تاريخ:ج2ص567)..
- الدعاء: على العبد أن يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع؛ ليصلح نفسه ويزكيها؛ ولذلك كان من دعاء نبينا صلى الله عليه وسلم: "اللَّهمَّ آتِ نفسي تقوَاها، وزَكِّهَا أنت خير من زكَّاها أنت ولِيُّها ومولاها" (العسقلاني،1213هـ: حديث رقم2722).
- التوبة: من أولى مقامات منازل العبودية لله تعالى عند السالكين التوبة، وبها يذوق الإنسان حلاوة الانتقال من التخلية إلى التحلية، قال الله عزّ وجلّ:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (التحريم:8).
- الاستغفار والذكر، قال تعالى:﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُوراً رَّحِيماً وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً

مُّبِيناً﴾ (النساء:110-111).

- سوء الظن بالنفس والحيلولة بينها وبين الاغترار بالعمل والإدلال به على الله، فإن حسن الظن بالنفس يمنع من كمال التفتيش، يقول ابن القيم رحمه الله(بدون تاريخ:245):"... على السالك حين لا يرضى بطاعة لله تعالى لا يحسن ظنه بنفسه، فيغيب عنه الرضى بالطاعة التي هي من رعونات النفس وحماقاتها"، وهذا دليل على أن الإنسان يجهل أحياناً حق العبودية لله تعالى، ويتجه إلى عبادة الكائنات الأخرى بحجة التقرّب إليه، وعندما يفشل في تحقيق نزعته النفسية يحاول يظهر حُسْن ظنه بنفسه ومنهما يتولد تزكية النفس بالطاعات.

ومن خلال تلك المعطيات يجب على الإنسان أن يبحث عن حظوظ نفسه، وعما يشوب من الأعمال، والتمييز بين حق الرب وحق النفس، فإذا خلا النفس من مراقبة الله فإنها تصاب بعلل تمنعها من الأعمال الصالحة، فالعبد يعمل ليثقل موازينه، ولا يميز هذا العمل إلا أهل البصائر وأطباء القلوب العالمون بعللها، فبين العمل وبين القلب مسافة، وفي تلك المسافة قُطاع تمنع وصول العمل إلى القلب، فيكون الشخص كثير العمل، ولكن ما يصل منه إلى قلبه أقل، وهنا يستطيع العاقل أن يفرق بين أولياء الله وأعدائه، أو بين الحق والباطل، فلو وصل أثر الأعمال إلى قلب الإنسان لاستنار وأشرق،... وهكذا.

## أثر التزكية في صلاح حال الإنسانية

على ضوء تلك الوسائل والأساليب فإن تزكية النفس من أوجب واجبات الإنسان، ومن أهم مقاصد التشريع الإسلامي لأنها ضرورة تميلها حاجة الإنسان في محاسبة نفسه، قال صلى الله عليه وسلم:" الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني" وأخرج الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:" حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية". وقال الحسن البصري:" إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته"، وقال ميمون بن مهران:" لا يكون العبد تقيّاً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه" وكتب عمر بن الخطاب رضيّ الله عنه إلى أحد عماله فقال:"حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة، فإن من حاسب نفسه في

الرخاء قبل حساب الشدة عاد أمره إلى الرضى والغبطة، ومن ألهته حياته وشغلته أهواؤه عاد أمره إلى الندامة والخسارة"(ابن عبدالبر،1998م).

ويؤكد ابن القيم (1991م:265)على ضرورة محاسبة النفس حتى لا تغتر بالكم على حساب الكيف قائلاً:"... فإن من العابدين أناس توفرت هممهم على استكثارهم من الحسنات دون مطالعة عيب النفس والعمل والتفتيش على دسائسها ومحاسبة النفس عليها، ويحملهم على استكثارها والإعجاب بها، ولو تفرغوا لتفتيشها ومحاسبة النفس عليها والتمييز بين ما فيها من الحظ والحق لشغلهم ذلك عن استكثارها، ولأجل هذا كان عمل العابد القليل المراقبة لعمله خفيفاً عليه فيستكثر منه ويصير بمنزلة العادة، فإذا أخذ نفسه بتخليصها من الشوائب وتنقيتها من الكدر". فالاستكثار من الطاعات دون مراعاة آفاتها وعيوبها دليل على قلة الفقه، ولكن أحب العباد إلى الله الذين يستكثرون من الصالحات مع المراقبة فيها"، فقد ندب الله عباده إلى ذلك في قوله:﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ (الذاريات:17-18).

كذلك من آثار تزكية النفس عدم الإكثار من الكلام، فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله موجبة لقسوة القلب، وإنّ أبعد النّاس من الله تعالى القلب القاسي، وبالصبر يستطيع الإنسان أن يكبح جماع شهواته، وينتصر عليها بالتقوي، فيحجزها عن المحرمات ويحبسها على الطاعات، فالتخلي والتحلي لا يمكن الحصول عليهما إلا عن طريق الصبر، لقوله تعالى:﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:10). أما اليقين فإنه يقضي به على ثبات النفس التي يُوسوسها الشيطان، لذلك فالذي يحصل على هذين المقامين يعد من المهتدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ (الأنبياء:73). أيضاً من الآثار المهمة أنها تمهد الطريق للتقرّب إلى الله دائماً. فالصحابة رضوان الله عليهم كانوا يميلون إلى الزهد فيتخذونه نوعاً من السلوك الاجتماعي في بناء العلاقات الاجتماعية، وهو نمط من تطور النزعة الدينية التي تساعد في بناء علاقات التعايش والتسامح بين البشر، بل تساعد في التخلص على ثقافة العزلة الاجتماعية، والكف عن التواترت النفسية التي كثيراً ما يؤدي إلى النزوع نحو الفتن السياسية والفكرية(التطرف والإرهاب والغلو في الدين).

ولا شك في أن صور التزكية في النفس الإنسانية تشكل نمط من أنماط السلوك الأخلاقي في كافة مجالات الحياة، فهي تشمل منظومة القيم المتكاملة ك(التوحيد، والتزكية، والعمران) فلا معنى للدين إلاّ إذا لم يقترن بالمؤسسة الاجتماعية التي تساعد الإنسانية في بناء وترقية حضارتها من خلال التنوع الثقافي والفكري، والعادات والتقاليد.

## آفاق التزكية في مقاصد التشريع الإسلامي

وردت لفظ التزكية في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، بوصفه مقصداً من مقاصد الوحي، حيث أرسل الله سبحانه الأنبياء والرسل لتحقيق تلك الغاية من خلال مقاصد التشريع الإسلامي، ولا سيما بعد تحديد الأولويات من الضروريات والحاجيات والتحسينيات. وقد صنف علماء المسلمين تلك المقاصد حتى يستطيع الإنسان التمييز بينها، لقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾(البقرة: 128-129)، وقال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 151)، وقال تعالى:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة:2)، فالتزكية التي وردت في الآيات السابقة كمقصد للتشريع الإسلامي لا تقف دلالته عند مقاصد الوحي فقط في بناء الأمة وتكوينها، بل تمتد لتشمل الممارسة العملية بموجبات الاعلان الإلهي، والتي لا يمكن تحقيقها إلا من خلال الآتي:

- تقوية الدائرة الإيمانية.
- الابتعاد عن الضلال والفساد
- السعي نحو الدخول في الجنة، وتجنب الدخول في جهنم.
- أن يكون عائد التزكية على النفس التطهير والنقاء:﴿ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ (فاطر:18).

فالنفس الإنسانية لا يتحقق لها ذاتها إلا الفلاح بالتزكية حتى لا تقع في مهاوي الخيبة والخسران فالإنسان يمتلك من القدرة ما يستطيع تفويض أمره إلى الله سبحانه وتعالى، كما أن للبيئة أثر في استخلاف الإنسان واستقراره واعماره للأرض، لذلك فإن بناء

الحضارة الإنسانية بصورتها الصحيحة هي التي تشكل محور التزكية الوجدانية من خلال عوامل التربية والتعليم والتوجيه والتنمية المستدامة. ومن هنا يرى بعض العلماء أن الوجدان في حد ذاته اثنان:

1. وجدان نزوعي: الوجدان النزوعي له دوافع غريزية وحاجات مادية يرتبط بها كالنفس الأمارة بالسوء، والنفس اللوامة.
2. وجدان إدراكي: إنّ دوافع الفطرة البشرية تتلمس الحاجات الروحية، ويتحرك معها الإنسان من البعد المادي إلى الروحي فتكون لديه نفس لوامة، لا تزال تترقى في درجات التزكية لتصبح كالنفس المطمئنة التي تطبق خطاب الله سبحانه وتعالى، لقوله تعالى:﴿ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر:28-30).

هكذا استقر عند العلماء أن فقه المقاصد الشرعية من أدق العلوم حيث يحتاج الإنسان إلى النظر الكلي للتشريع الإسلامي، والاهتداء بمنهاجه في جميع تشريعاته، الأوامر منها والنواهي، والكشف عن مقاصد الشريعة عن طريق البحث عن العلل والغايات والحكم التي من أجلها جاء التكليف، فيريح البال ويبعث في القلب الاطمئنان، ويعمل الإنسان وهو في منتهى القناعة أن المكاسب من هذا العمل محتومة، ولو يعلم العبد أنه خُلق على هذه البسيطة للعبادة وحدها، وعرف أن منزلته تعلو عند الله سبحانه وتعالى كلما علت همته في العبادة والخضوع له، والاستكانة إليه، كان دخوله في العبادة بوجه حسن، وفي هيئة أفضل، وبقناعة مطلقة، وليس مجرد اتباع الآباء والطقوس المنعدمة المعاني، وهذا ما نقرأه في قصة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين سلك البراهين الواضحة، وطرق العلم المقنعة لإثبات التوحيد الحق، فكان من أمره ما قرره بقوله تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام:79). لهذا فإن تتبع معاني النصوص الشرعية وفهم غاياتها ودلالاتها، وترك الركون إلى الشبهات من أهم مقاصد التشريع الإسلامي (الشاطبي، بدون تاريخ:ج3ص233). لذلك فإن لفقه المقاصد في تزكية النفس الإنسانية مكانة عالية في علم التشريع، فالعالم لا ينال غاية الاجتهاد والتفقه حتى يعرف دليلاً وحُكماً وحكمة.

## آفاق التزكية في المصطلح القرآني

كثيراً ما يرد لفظ التزكية بمعنى التطهير والترقية لتنمية المشاعر النفسية، ولبناء علاقات اجتماعية بين الذات الشخصية. فعندما يحدث الطلاق مثلاً، فإن النفوس ربما تكون مهيئة للبغضاء والشحناء، وتقطيع أواصر الإلفة والمودة، مما قد يدفع أهل الزوجة السعي إلى عضلها أي منعها من العودة إلى زوجها مع رغبة كل منهما في هذه العودة، فيخبرهم الله أن في هذه العودة خير لهم جميعاً وأطهر لقلوبهم من الريبة والشك ولدوام الود والمحبة؛ فالمسألة إذن مشاعر وخواطر نفسية يمكن أن تسهم في ترقية وتطوير المجتمع، أو معالجة القضايا الاجتماعية وفق أسس تربوية وتعليمية، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 232).

وقد جاء ألفاظ "أزكى لكم" و"أزكى لهم" في سياق كثير من الآيات، ليقصد بها تطهير حياة الفرد وسريرته وواقعه، وذلك من خلال مراقبة الملأ الأعلى لخلجات القلب وتقويم السلوك، فالاعتذار عن استقبال الضيوف في المنزل احترماً للخصوصيات، وغض البصر وحفظ الفرج صيانةً للأعراض يرافقه تطهير الضمير والشعور بالسلوك الحسن، قال تعالى:﴿ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ (النور: 24)، وقال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (النور: 30). لذلك فإن لفظ الزكاة بمعنى الفريضة المعروفة في أركان الإسلام الخمسة تعني تطهير النفوس من الشح، والاستعلاء على فتنة المال، وتقوية صلة التراحم والتآخي في الله تعالى، وهي من الأركان الفريدة في النظام الاجتماعي والاقتصادي، فجباية المال في الإسلام عبادة، وهي سهم معلوم من مال الفرد يرده للمجتمع عندما يصبح المال مملوكاً للفرد الذي يملك المال ويملك حرية التصرف فيه كي لا يكون دولة بين الأغنياء، فالتزكية هنا تطهير وتقوى في جانب اكتساب المال ثم في الانفاق.

فإذا كانت الأخطار والأهوال التي تحيط بالأمة من قبل أعدائها من الخارج والداخل أوضح من أن تخطئها عين البصيرة، فإن خطر خراب نفوس أبناء الأمة وخلوها من معاني ومظاهر التزكية المطلوبة شرعاً أشد خطراً وأعظم أثراً، إذ لا نجاح لمحاولات

التصدي للأخطار الخارجية ومواجهة ما يحاك بالأمة من مكر وكيد إلا بإصلاح نفوس أبنائها، فهو السبيل الأول والطريق الأهم لعبور وسائل وطرق علاج المخاطر والتحديات والتهديدات التي تحاك بالمجتمع. ومع أن المال عصبة الحياة فإن الزكاة وسيلة مصونة لتزكية النفس من شهواتها، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (الروم: 39)، فمن أراد التجارة الرابحة التي تتضاعف فيها الأموال، عليها بتزكِّية النفس. فالنفوس إنَّما تزكو بالصدقات؛ فاللّه سبحانه تعالى يَعِدُ الناس أن يكون معهم، وما أعظمها أن يتبع سنن في خلقه! لكن هذه المعية لا تتحقق إلا بشرط الإيمان، لقوله تعالى: ﴿... لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا... ﴾ (المائدة: 12)، فمعيَّة المولى عزّ وجلّ وعدٌ عظيم، تهدي الإنسان وتكفيه شر الوقوع في المعاصي والآثام.

لذلك فإنّ إقامة أسس الحياة الاقتصادية على المنهج الرباني يكفل للإنسان حق التصرف في ماله حتى لا يكون المال في أيدٍ قليلة من الناس حتى يعجز الكثيرون العيش الكريم، وهذا مما يؤدي إلى وقف دولاب الإنتاج والانتاجية... كل هذه المؤشرات السالبة تحول دونه إخراج الزكاة لمستحقيها، كما يحول دون تطبيق منهج الله في توزيع المال ..." (المعاز،1998م:23).

فالسؤال من الذي يزكي النفس: اللّه أم الإنسان؟ جاءت في سياق كثير من الآيات القرآنية أن تزكية النفس البشرية دالة على معنيين: أن اللّه هو المزكي للنفس من باب التوفيق والدلالة، أما الفاعل المباشر للتزكية هو الإنسان، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ (النساء: 49)، وقال تعالى:﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور: 21)؛ وفي هذا يقول ابن القيم رحمه اللّه: " فإن العبد إذا زكى نفسه ودساها فإنما يزكيها بعد تزكية اللّه لها بتوفيقه وإعانته، وإنما يدسيها بعد تدسية اللّه لها بخذلانه والتخلية بينه وبين نفسه..."(ابن القيم،بدون تاريخ:ج2ص276).

إذن لماذ التزكية؟ من مقاصد التشريع الإسلامي أن جعل تزكية الإنسان لنفسه مسؤولية ذاتية تهدف إلى تنمية العقل والجسد والروح معاً، وتنقّيتها من رواسب الجهل، والاستعلاء على هوى النفس. وقد ترافق هذا المقصد منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم الذي علم أصحابه رضوان الله عليهم كيف يمكن للإنسان أن ينمي عقله حتى يستطيع استكشاف السنن الكونية، وبتحقيق هذين المقصدين يكون الإنسان مؤهلاً للقيام بمسؤولية الخلافة وعمارة الأرض، ونشر العدل بعيداً عن سفك الدماء والإفساد فيها. ومن ثَم حرص النبي صلى الله عليه وسلم على تحقيق هذا المقصد فزكى نفوس أصحابه من أدران الجاهلية، وأقام مجتمع ساد فيه المساواة والعدالة، ونهى عن التكبر باسم الأنساب فقال لأبي ذر رضي الله عنه: " إنك امرؤ فيك جاهلية "، ونهى عن الغضب لأنه مفتاح الشرور فقال: " لا تغضب ". فالقرآن الكريم يقسم الطبيعة الإنسانية إلى قسمين: جسم وروح، والروح تشمل العقل(مرسي،1988م: 277).

وقد وصف بعض الفقهاء أن تزكية النفس أمانة أودعها اللهُ سبحانه وتعالى في الإنسانَ لحفظها وضبطها، وعلى المسلم أن يؤدي حقها بتقوى الله عزّ وجلّ بكل ما أوتي من قوة، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لحفظ الكليّات الخمسة: " حفظ الدين والعقل والنفس والنسل والمال". ولتحقيق غاية تزكية النفس يجب إتباع المنهج التربوي الذي استخدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم في الصلاة والدعاء والاستغفار والذكر ومساعدة الفقراء والمحتاجين والإحسان إلى الناس، ومعايشة أهل الحاجة والسير على حاجاتهم، وإصلاح ذات البين، وتمني الخير للآخرين، والصبر على الطاعة، وكذا الصبر على وقوع المصيبة، وعدم التناجي، والبعد عن الكبائر التي تدمر النفس وتورّث الرذيلة.

## حاجة الأمة الإسلامية اليوم للتزكية

إذا نظرنا لحال المسلمين اليوم ندرك من خلالها مدى الحاجة إلى إعادة تربية وتزكية النفوس، وتأسيسها على تقوى من الله ورضوانه، وأن الحاجة إلى ذلك أصبحت دوماً أشد، وذلك لعدة أسباب منها:

أولاً: كثرة الفتن والمغريات وأصناف الشهوات والشبهات التي انتشرت في كل بيت في العالم الإسلامي؛ فالمسلم اليوم يحتاج إلى من يقيه شر العولمة والعالمية، وإلى وسائل

وأساليب تزيل عنه كوامن التغريب والاستلاب العقلي والفكري، وأيضاً يحتاج إلى حصن يعيد وظيفته في الحياة.

ثانياً: كثرة حوادث النكوص على الأعقاب، والانتكاس، والخروج من مظلة الإحتكام إلى الله تعالى.

ثالثاً: غياب المسؤولية الذاتية، والتمسك بالتبعة الفردية على المستوى التعبدي والعبادي، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾(النحل:111).

رابعاً: النزوع نحو الحضارة والثقافة الغربية، فهل هذا ابتلاء أم تمكين؟ وفي كلا الحالتين يحتاج المسلم أن يبرر موقفه.

خامساً: أصبح المسلم اليوم تحت مظلة التبعية الغربية متفاعلاً بجزوة تقدم الغرب، فمن عجز عن بناء نفسه فهو عن بناء غيره أعجز.

## أساليب العلاج

الإنسان يسعى للوصول إلى الكمال، فيتدرَّج في الازدياد حتى يصير إلى حدِّ الكمال، وهذا يحتاج إلى عدة أساليب ومناهج تربوية منها ما يلي:

- تربية جسمية: تشتمل التربية الجسمية أو البدنية على الحماية والتنمية والتغذية، وهي من أهم الأساليب التي تساعد الإنسان في المحافظة على نفسه من الأمراض وأسبابها وعللها، ولا يمكن تحقيق تلك الغاية إلاّ بتكوين الوعي الصحي، والالتزام بالقيم الأخلاقية والسلوكية الفاضلة، والاعتدال في أعمال العبادة، وعدم الإفراط والتفريط في الواجبات المؤدِّية إلى التقرّب إلى الله عزّ وجلّ (يالجن،1986م:55).
- تربية عقلية: تعتمد التربية العقلية بتقديم مستوى معين من المعلومات، فالبداية يجب تحديد مجال النظرِ العقلي لكل مرحلة من مراحل النمو المختلفة، وبها يستطيع الإنسان أن يصون طاقته العقلية، وبالتالي يكسب ثقافة حُسنَ التصرف في الأمور سواءً الضرورية والحاجية والتحسينية، فيلبي رغباته وفق ضوابط شرعية، ويوكل أمر ذلك إلى الروح المزودة بوسائل الوصول إلى الله تعالى (الشاطبي،بدون تاريخ: ج1ص236). فالإسلام يطالب المسلم بتوجيه عقله نحو معرفة أمور دينه ودنياه، والاطلاع على إنتاجه من أين اكتسبه وإلى أين أنفقه، ومن خلال تلك المعطيات يستطيع

بناء حضارة إنسانية تستوعب كل ألوان التنوع الثقافي والفكري، فأي انحراف في الأخلاق إنما هو نقصٌ في الإيمان (الهيثمي،1413ه:ج2ص58).

- التحلي بالأخلاق الحُسنُة: إنّ التحلي بالأخلاق الحسنة له من الأجرِ الكبير والثواب الجزيل؛ قال الله تعالى:﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾(آل عمران: 133، 134). وعن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم يقول: "إن المؤمنَ لَيُدرِكُ بحُسن خُلقه درجة الصائم القائم"(أبو داؤد،1414هـ:ج4ص270). وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ما من شيء أثقل في الميزان من حُسْن الخُلق". فالتربية الإسلاميةُ تربِّي الفرد على حسن الخلق، وأن يتعامل مع الأخرين بالأخلاق الحسنة؛ بَرِّهم وفاجرهم ومؤمنهم وكافرهم.
- رفع درجات التقرب إلى الله تعالى: هذا الهدف جاء صريحاً في القرآن الكريم في آيات فرضية الصيام: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة: 183)، فالعبد يزيد تقواه عند ممارسة الإلتزام بالشرع الإلهي، فالتقّوى هي أمارة الإيمان والعمل الصالح، فالدال غلى الخير كفاعله، فكلما زاد الإنسان عبادة زاد تقواه، وكلما ضعفت ضعف تقواه، والله لا ينال من عبادات العابدين، وإقبال الساعين إليه إلا التقوى.

## خاتمة

أكدت الدراسة أن الإنسان في ذاته محب للكمال، وأن التزكية هي تطهير وتنمية تعمل على تهذيب النفس وتربيتها، فالنفوس تصاب بالأعراض التي تصابُ بها الأبدان؛ فهي محتاجة دائماً إلى رعاية، وبحاجة إلى متابعة للازدياد في الخير؛ فلذلك يحتاج الإنسان إلى أن يراقب تطورات نفسه، ويعمل على نمائها، ويعلم أنها وعاءُ إيمانه في العلم والمعرفة، فلا فائدة لحياته إذا لم يعمل على تزكية نفسه وترقيتها.

## التوصيات

- ضرورة الاهتمام بالتربية العقلية والفكرية لمجابهة التحديات والتهديدات التي تواجه الأمة المسلمة اليوم.
- توجيه الشباب المسلم نحو التحلي بالقيم الأخلاقية الفاضلة.
- العمل على ضبط الخطاب الدعوي والاعلامي.
- إلمام الأمة المسلمة بمخاطر الاستلاب العقلي والفكري والتغريب الغربي.
- على المراكز البحثية والدعوية وجمعيات القرآن الكريم الاهتمام بجانب تزكية النفس كمسؤولية أخلاقية واجتماعية.

# المراجع

أبادي، الفيروز (1419هـ). القاموس المحيط. دار الجيل، بيروت، ط1.

ابن القيم (بدون تاريخ). إغاثة اللهفان. دار الكتاب العربي، بيروت،ط2.

ابن القيم(بدون تاريخ). تهذيب مدارج السالكين.دار العمل، القاهرة،ط2.

ابن تيمية(1994م). مجموع الفتاوي. دار النهضة الحديثة، مكة المكرمة، ط2.

ابن فارس،أحمد(1399هـ). معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبدالسلام هارون. دار العلوم، القاهرة، ط2.

ابن كثير(1992م). تفسير القرآن العظيم. دار الفكر العربي، بيروت، ط2.

ابن منظور، محمد بن مكرم (1958م). لسان العرب. دار القلم، بيروت، ط2.

أبو داؤد، سليمان الأشعث (1414ه). سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب حسن الخلق، دار الفكر، بيروت، ط2.

البخاري، محمد بن إسماعيل(1313هـ).صحيح البخاري. دار القلم، القاهرة،ط2.

الترمذي، أبوعيسى محمد(بدون تاريخ) سنن الترمذي. تحقيق أحمد شاكر وعبدالباقي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2.

سيد قطب(1982م). في ظلال القرآن الكريم. دار الشروق، القاهرة، ط1.

الشاطبي، إبراهيم موسى(بدون تاريخ). الموافقات، دار الفكر، بيروت، ط2.

شلبي، أحمد(1997م). الإسلام. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1.

شلتوت(1998م). الإسلام عقيدة وشريعة. دار الشروق، بيروت، ط1.

الشنقيطي، محمد الأمين(بدون تاريخ). أضواء البيان في إيضاح القرآن. مكتبة الأندلس، القاهرة، ط1.

العسقلاني، ابن حجر (1373هـ). فتح الباري في شرح صحيح البخاري. دار العلم، بيروت،ط2.

الغزالي، محمد (1978م). إحياء علوم الدين. دار العلم، القاهرة، ط1.

قطب، محمد(1403هـ). منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة،ط2.

مرسي، محروس سيد (1988م). التربية والطبيعة الإنسانية، دار المعارف، القاهرة، ط1.

مسلم بن الحجاج بن مسلم (بدون تاريخ). صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة. دار الجيل، بيروت،ط3.

المعاز، نبيل (1998م). التزكية. دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط1.

الهيثمي، نور الدين علي(1413هـ). بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث. تحقيق حسين أحمد الباكري، مركز خدمة السنة النبوية، المدينة المنورة،ط3.

يالجن، مقداد(1986م). جوانب التربية الإسلامية، دار الريحاني للطباعة والنشر، بيروت، ط1.